شخصية مغربية فذة مجهولة في الوسط المغربي

الحسن بن محمد الوزان

Léon l'Africain

«تابع» ٢) حيـاته

لا نعرف شيئاً عن حياة هذه الشخصية المغربية فان الابهام يحيط بها من جوانب عدة ولا تخطو خطوة دون أن تتساءل عن نواح للرجل يجب أن نعرفها لنواصل سيرنا في تفهم ترجمة حياته ونعلل ما يتراءى لنا عنه من صور فالرجل لم يكن من هؤلاء الذين يعيشون أعواماً ثم يقبرون دون أن يدركوا من الحياة إلا صورها السطحية فيمرون في الحياة مر السحاب بل كان فرداً يحتفظ بكل ما يشاهد وما يسمع ويلاحظ الملاحظات الدقيقة ولم يكد يكتمل نضوجه العلمي واستعداداته الفطرية حتى خطفته أيد عاتية فاذا به في عالم آخر لا يوافق هذا الوسط الذي تعلم فيه وتثقف تثقيفاً صحيحاً.

فكل ما نعرف عن حياته أنه ولد في غرناطة والاسبان في الاندلس يهاجمون العرب ويكتسحون البلاد التي فتحها جيش طارق ونشر فيها لواء الاسلام يهاجمون البلاد هجوم الاستيلاء الاخير وقد اضطربت أحوال المسلمين وخيم عليهم الياس والقنط فأصبحت في تلك البلاد ملتهم تحتضر فلا يكاد صاحبنا يتعدى سن الطفولة حتى يتم أمر الله وتغادر آخر جماعة اسلامية البلاد الاسبانية فتغادر عائلة صاحبنا الاندلس الى المغرب، وتقصد تواعصمة المرينيين حيث يقضي محمد الوزان حياته الدراسية فيتقن العربية وعلومها ولا نكاد نعرف شيئاً واضحاً عن دراسته الا اذا استنتجناها من خلال سطور مؤلفه الذي يأتي ذكره فنعرف أن الوزان لم يكن بذي التعليم السذج الذي ليس بينه وبين العامي إلا درجة واحدة من درجات الرقي بل كان شخصاً يجمع الى دقة ملاحظاته واستعداداته الفطرية ثقافة واسعة شاملة لاشتات فروع العلم الذي تحدث الينا عنه في كتابه ومختلف صور الثقافات الاسلامية وقد كانت فاس اذ ذاك في أوج عزها تتزعم العواصم المتمدنه حضارة وعلماً وجامع القرويين اذ ذاك على رأس المعاهد العلمية التي أسستها الدول المغربية ودولة بني مرين بصورة خاصة يقدم لطلبته غذاء فكرياً يشد اليه الرحال وإداراته لا تبخل على كل غريب بالمساعدة الادبية والمادية فالوسط الفاسي العلمي هو الذي كون هذه الشخصية ونمى استعداداتها وشغفها بالعلم والبحث.

ويحدثنا أنه تعاطى مهنة العدالة فأصبح عدلاً يسجل الاحوال المدنية والتجارية مدة عامين والظاهر أن هذه المهنة لم تكن مما يوافق مشرب صاحبنا بل كان يتطلع الى ناحية اخرى من نواحي الحيـاة غير قضاء يومه في دكان ضيق يكتب على ركبته رسوماً ومواثيق بل أراد أن يجول في أرض الله الواسعة ويدرس الحياة من طريق عملي ويطبق النظريات على الملموسات فيعطي لمواهبه الفرصة كي تبرز وتغتنم من التجاريب والمصادامات ففي خلال عشر سنوات جال بمختلف جهات المغرب ووصل الى تمبكتو وزار مختلف نواحي أفريقا الشمالية وزار الحرمين واستنبول وجهات اخرى من آسيا وكان يقضي خلال هذه الرحلات مهمات سياسية ففي سنة ٩٢١ يكون بتادلة ويشاهد معركة معمورة بأسفل نهر سبو ثم يرجع الى فاس ويقصد الحرمين على طريق تلمسان والجزائر وتونس وفي السنة التالية يقصد الاستانة وغيرها من الجهات الاسيوية ثم يتجول في مختلف جهات افريقيا الشمالية وطرابلس على العموم.

وفي سنة ٩٢٦ هـ يأسره قرصان ايطاليا قرب نابلي ويأخذونه الى البابا ليون العاشر فيجد نفسه في وسط اروبى غريب عنه بدأ دبيب الحياة الفكرية يسري في عروقه من جديد له ماض زاهر وحضارة عريقة الاصل وكان البابا ليون العاشر — والبابا إذ ذاك في اوربا الكل في الكل — رجلا فذاً ممتازاً في وسطه يرغب في العلم وينشد ذويه فلما اوتي له بالحسن فمن المتصور انه طلب منه أن يتحدث اليه عن بلاده المغربية اذ استلفت نظره حديثه الفياض ودقة معلوماته وسعة نظره والتاريخ يحدثنا أن البابا قربه اليه وعين له راتباً عظيماً وجعل منزلته رفيعة ومكانته محترمة فلقد وجد البابا في رجلنا — دون بقية الاسارى الذين كانت ايطاليا تموج بهم — رسولا من رسل المعرفة وتلميذاً من تلامذة عصر ذهبي يزخر بالمعارف وتجتمع فيه ثقافات مختلفة .

تمكنت أسباب الصلة بين البابا والحسن المغربي وتأصلت المودة بينهما الى حد بعيد وتحدثنا بعض المصادر التي كتبت عنه ان البابا دعاه الى المسيحية فتمسح فسماه باسم ليون وبليون يعرف صاحبنا في الوسط الاروبي العلمي منذ ذلك العهد الى يومنا هذا ولسنا ندري حقيقة تمسحه وهو الذي ترعرع في وسط اسلامي وتغذى من ثدي المعارف الاسلامية أم أن ذلك استنتاج من بعض الذين كتبوا عنه لما علموا هذه الصلة والمودة اللتين تكونتا بين ليون البابا وبين ليون المغربي فانه لم يكن ليخطر في ذهنية المتدينين باروبا أن شخصاً يرضى عنه البابا وهو غير مسيحي ويزعم مستشرق درس حياته ومؤلفاته أنه لما رجع الى تونس رجع الى دينه الاسلامي اذاً فمسيحيته — وإن صحت — لم تكن بصورة ظاهرة ولست أتصور أن الحسن قد تمسح وإلا فلماذا يغادر روما الى وسط اسلامي بعد موت البابا ليون العاشر فيقصد تونس وهناك يلقى ربه وتحتضنه تربة اسلامية ، ثم أن مؤلفه الضخم الذي بين ايدينا وهو فيه يتحدث عن بلاد اسلامية من مختلف نواحيها لم يات بكلمة أو جملة يشم منها بغضه أو نفوره فحسب من دين الاسلام أو المسلمين إذا أصبح حقيقة يعتقد أنهم على ضلال .

هذا كل ما نعرف عن حياة الرجل وليس ذلك بالترجمة التي تتيح لنا ان نحلل شخصيته تحليلا تاماً ونستنتج منها ما يلزم أن نستنتج لنصور عبقريته وكفاءته العلمية تصويراً جلياً لا غموض فيه فالابهام — كما قلت آنفاً — يحيط بحياته والمصادر العربية التي بأيدينا لم تتحدث عنه ولو بترجمة بضعة أسطر بل ولو بكلمة واحدة ولكن مؤلفه العظيم — وصف افريقيا — يعطينا صورة عن سعة علمه وآفاق بحثه وقوة ادراكه ويوضح لنا سبب شهرة الرجل ومؤلفه في الاوساط العلمية الغربية وشغف الباحثين الاروبيين به وبسيرته .

«يتبع» سعيد حجي

— جاء في العدد الماضي صحيفة ٤ عمود ٢ سطر ٢٣ : (فقد ذكر أكثر من ستين مفكراً من اعلام) والصواب هكذا (فقد ذكر واشتهد بنظريات وأراء أكثر من ستين مفكراً من اعلام ...)

— دواء —
الم الاسنان — ووجع الرأس
ونزلات البرد
والرماتسم

اسبيرين

« معامل الرون »
اشهر من ان يعرف بها
— تباع في سائر الصيدليات —